الافتتاحية

الرقابة

خصّصتْ مجلة Index on Censorship عددَها الأخير (نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٦) لقصصٍ منعتها أجهزة الرقابة في عدد من بلدان العالم، وفي فترات مختلفة من القرن العشرين. وقد لفتتْ نظري قصّةُ ايتالو كالفينو «جنرال في مكتبة» التي تصدّرت قصصَ المجلّة المذكورة. والجدير ذكره أنّ كالفينو روائيٌّ وقصّاصٌ وصحافيٌّ كوبيٌّ الأصل، لكنّه ترعرع في إيطاليا وكان عضواً في حركة الأنصار أثناء الاحتلال الألماني لشمالي إيطاليا في الحرب العالمية الثانية.

وقد رأيتُ أن أشرك القارئ في قراءة هذه القصّة، لا لذكائها، ورهافة حسّها، ومَرَحِها اللاذع حتى تُخوم اللّوْعة، ونافذيّةِ بصيرتها إلى قوّة الكلمة - في وقت كَثُر فيه الحديثُ المتعسِّفُ وغيرُ الدقيق عن «موت المثقّف»، و«أوهام النخبة»، و«نهاية التاريخ» - فحسب... بل (وهنا بيت القصيد) لأنّ هذه القصّة تُشرع الأفقَ على أسئلة الكتابة العربيّة ذاتها: عن حال الرقابة العربيّة العشوائيّة إلى حدود العبث وجنون الارتياب (البارانويا)، وعن حال المثقفين العرب الموالين والمعارضين والسائرين على الجسور والحبال، وعن حال العسكر الذين يتحوّلون (بين ليلةٍ وضُحاها) كما يقول زياد الرحباني) إلى مثقفين ومنظّرين، وعن إمكانية العمل الثقافي المعارض (أو الاعتراضي، على الأقلّ) من داخل جهاز الدولة القامع.

وإذا أنقل هذه القصّة إلى اللّغة العربيّة، وأطرح عليها (في خاتمتها) أسئلتنا «العربيّة»، فإنّني أعي أنّني قد ارتكبتُ نوعاً من الخطيئة النقديّة: بإلصاقها في بيئة غير البيئة التي نبتتْ فيها، ومنها استوحتْ نُسْغَها واخضرارَها ورموزَها، على اعتبار أنّ المؤلّفين «كائنون إلى حدّ بعيد في تاريخ مجتمعاتهم، يشكّلونه ويتشكّلون به» كما قال ادوارد سعيد (**الثقافة والامبريالية**، ص ٥٠). ومع ذلك فإنّ النصّ الأدبي وغير الأدبي ما إن يُنشر حتى يصبح مُلْكاً لجميع القرّاء، يقرأونه بعيونهم لا بعين المؤلّف، ويُسقطون عليه ما شاء لهم إسقاطه: آمالاً وخيباتٍ وسُخْريات. ويحضرني في هذا المجال ما قاله ساعي البريد لشاعر التشيلي العظيم پابلو نيرودا في فيلم Il Postino: «إنّ القصيدة ليست مُلْكاً للشاعر، بل هي مُلْكٌ لكلّ من يحتاج إليها!».

وأخيراً، فإنّي أحرص على أن يقرأ هذه القصّةَ العاملون في أجهزة الرقابة العربيّة، وهم - بالمناسبة - من أشدّ قرّاء **الآداب** إخلاصاً ونَبْشاً وتفكيكاً وتمزيقاً ومصادرةً وتشاطراً، إلى يومها هذا الذي تودّع فيه عامَها الرابع والأربعين وتدخل عامها الخامس والأربعين بمزيجٍ متعاظم من اليأس والخشية والألم والأمل والتحدّي والفرح. ومردّ حرصي هذا لا يعود إلى الرغبة في استثارتهم ودَغْدَغَتِهم (أتراهم يتخلّون - ولو لحظةً - عن وقارهم الأخلاقوي البوليسي الممجوج؟)، ولا إلى دعوتهم إلى الرأفة بالمواطن العربي الذي يتحمّلون مسؤوليةً كبيرةً في تأخّره وإفقاده الحسَّ بكرامته وحريّته وإنسانيّته، ولا إلى مناشدتهم الرِّفق بالكاتب العربيّ (الذي بَلَغ تذويتُهُ واستبطانُه للقمع والرّقابة أن راح ينفي إخضاعَهُ ما يكتُبُه للمراقبة الذاتية!)، ولا أملاً في أن يتحوّلوا بعد هذه العقود الطويلة من القصّ والتشطيب والتنتيف من «بَصّاصين» (بلغة جمال الغيطاني) إلى قرّاء (محض قُرّاء، يا ناس!)... وإنّما...

وإنّما ماذا؟

سماح ادريس

جنرال في مكتبة

إيتالو كالفينو

ذات يوم، في دولة «پاندوريا» الشهيرة، تسلّلَ إلى عقول الموظّفين الرّسميين الأعلين شكٌّ: في أنّ الكتب [عامّة] تحتوي آراءً معاديةً للهيبة العسكريّة. والواقع أنّ المحاكمات والتحقيقات قد كشفتْ أنّ الميْلَ، المنتشر اليوم، إلى اعتبار الجنرالات أُناساً قادرين بالفعل على ارتكاب الأخطاء والتسبُّبِ في حصول الكوارث، وإلى اعتبار الحروب أفعالاً لا تؤدّي دوماً إلى هجوم فرسان رائع باتّجاه قَدَر مجيد، إنّما هو ميل يتبنّاه عدد كبيرٌ من الكتب القديمة والحديثة، الأجنبيّة والپاندوريّة على حدّ سواء.

اجتمع أركان حرب پاندوريا لتقييم الوضع. لكنّهم لم يعرفوا من أين يبدأون، لأنّ أحداً منهم لم يكن ضليعاً في الأمور البيبليوغرافيّة(*). فتشكّلتْ لجنةٌ تحقيق برئاسة الجنرال «فِدينَا»، وهو موظّف صارم وشديدُ التدقيق، مهمّتُها فحصُ كلّ الكتب في أضخم مكتبة في پاندوريا.

كانت المكتبة تقع في بناء قديم مليء بالأعمدة والأدراج، حيطانُهُ تتقشّر بل تتصدّع هنا وهنالك. وكانت غرفُها الباردة مكتظّة بالكتب حتى حدود الانفجار، وبعضُ أنحائها عصيّةٌ على البلوغ، لا تستطيع أن ترود بعضَ زواياها سوى الفئران. ولمّا كانت ميزانيّةُ دولة پاندوريا مثقلةً بالمصاريف العسكريّة، فقد تعذّر على هذه الدولة أن تقدِّم أيّة معونة.

احتلّ العسكريّون المكتبةَ ذات صباح ممطر من تشرين الثاني (نوفمبر). نزل الجنرالُ عن صهوة جواده، قصيراً ثخيناً مُتَيَبِّساً، عنقُه الثخينة حليقة، وحاجباهُ مُقَطّبانِ فوق نظارةٍ أنفيّة. أربعةُ ملازمين أوائل طِوالٌ هزيلون، ذقونهم مرفوعة إلى الأعلى

(*) البيبليوغرافيا: تاريخ المكتوب والمنشور، ووصفُهما، والتعريفُ بهما.

وجفونهم مقوّسة كالأبراج، ترجّلوا من سيارة، كُلٌّ يحمل حقيبة جلديّة في يده. ثم جاءت سَرِيّةٌ من الجنود، فَحَطَّتِ الرِّحالَ في الفناء القديم، ومعهم بغالٌ، ورُزَم تبنٍ، وَخِيمٌ، ووسائلُ للطبخ، وجهازُ إرْسالٍ، ورايات للإشارة والتحذير.

نُصِّبَ الحُرّاسُ أمام الأبواب، وعليْها وُضِع أيضاً تنبيه يحظِّر النّاس من الدخول «طول المدّة التي تستغرقها مناورات تجري الآن على نطاق واسع». وقد كان ذلك ذريعةً تسمح لعمليّة البحث بأن تتمّ في سِرِّية كبيرة. وكان على العلماء الباحثين - الذين اعتادوا الذهابَ إلى المكتبة كلَّ صباح، مرتدين معاطفَ ثقيلةً، وملاحفَ أعناقٍ وقلانيسَ ضافيةً، كَيْلا يتجمّدوا من البرد - أن يعودوا إلى البيت من جديد. وكانوا يتساءلون في حيرة: «ما تراها تكونُ هذه المناوراتُ ذاتُ النطاق الواسع في المكتبة؟ ألن يخرِّبوا المكانَ؟ والفرسان؟ هل سيطلقون النّار أيضاً؟».

*

لم يحتفظ العسكرُ من موظفي المكتبة وإداريّيها إلاّ برجلٍ مُسنّ صغير، هو سينيور كريسپينو، لكي يكون في وسعه أن يشرح للضبّاط كيف رُتِّبت الكتُب. وكان كريسپينو شخصاً قصيراً بعض الشيء، ذا رأس أصلع بيضاويّ الشكل وعينيْن أشبهَ برأسيْ دبّوس خلف نظارتيْه.

وكان الجنرال «فدينا» معنيّاً أوّلاً وقبل كل شيء بـ«لوجستيّات» العمليّة، إذ قَضَتْ أوامرُه بأنْ لا يغادر أعضاءُ اللجنة المكتبةَ قبل الانتهاء من التحقيق؛ فتلك مهمّة تتطلّب التركيز وينبغي ألا يسمحوا لأنفسهم بالذُّهول عنها. وهكذا جُلِبتْ مؤنٌ، وأفرانُ ثكنات، ومخزونٌ وافرٌ من حَطَبِ الوَقود؛ وإلى هذه جُلِبَتْ أيضاً بعضُ مجموعاتٍ من مجلاّت قديمة اعتُبِرَتْ غير مشوِّقة عموماً. ولم تكن المكتبةُ مِن قبلُ بمثلِ هذا الدفء في فصل الشتاء. ونُصبتْ أسِرّةٌ من قشّ للجنرال وضبّاطه في نواحٍ آمنة محاطةٍ بمصائد للفئران.

أُسنِدتِ المهامُّ إلى العسكر. فخُصَّ كلُّ ملازمٍ أوّل بفرعٍ واحدٍ من المعرفة، وبقرنٍ واحدٍ من التّاريخ. وكان للجنرال أن يُشرف على فرز الكتب ولصقِ طابع مطاطيّ ملائم عليْها، وذلك بحسب الحكم الصادر على كلٍّ منها: ما إذا كانَ مناسباً للضبّاط والضبّاط غير المفوّضين والجنود العاديين، أم كانت إحالتُه على المحكمة العسكرية واجبة.

وبدأت اللجنةُ المهمّةَ المنوطةَ بها. فراح جهازُ الإرسال ينقل كلَّ مساءٍ تقريرَ الجنرال «فِدينا» إلى قيادة الأركان: «لقد فُحِص كذا كتاباً اليوم، وتمّ إلقاءُ القبض على كذا كتاباً للشُّبْهة، وأُعلن كذا كتاباً صالحاً للضبّاط والجنود». ونادراً ما رافقَ هذه الأرقامَ الباردةَ أمرٌ خارجٌ عن المألوف: من مثل طَلَبِ نظّاراتٍ [جديدة] لتصحيح قِصَرِ نظرِ ضابطٍ كَسَرَ نظّاراته [القديمة]، أو خبرٍ مؤدّاه أنّ بغلاً أكل نسخة مهملةً من مخطوطةٍ نادرةٍ لِـ[المؤلِّف الروماني] شيْشرون.

*

غير أنّ تطوّرات ذات شأنٍ أعظم راحتْ تجري في هذه الأثناء، دون أن ينقل الجهازُ أيَّ خبرٍ عنها على الإطلاق. فبدلاً من أن تنقص غابةُ الكتب، فإنّها جعلت تتشابك أكثرَ أكثر وتنمو بخفاءٍ مهدِّد غادر. وكان الضبّاط سيضلُّون طريقهم لولا مساعدة سينيور كريسپينو. فالملازم أول أَبْرُوجاتي، مثلاً، هَبَّ ذاتَ يوم فَرَمَى بالكتاب الذي كان يقرأه على الطاولة [صائحاً]: «إنّ هذا أمر شنيع فظيع! كتاب عن الحروب القرطاجيّة يمتدح القرطاجيّين وينتقد الرومانيين؟! يجب كتابة تقرير عنه فوراً» (هنا يجب أن نقرّر أنّ الپاندوريين كانوا يعتبرون أنفسهم متحدِّرين مِن الرومان، بغضّ النّظر عن صحّة هذا الاعتقاد أم خطئه). فأتاه المكتبيُّ المُسنُّ، وهو يمشي بهدوء على خُفَّيْه الطَّرِيَيْن، ليقول: «ليس هذا مِمَّا يُعْتَدُّ بِهِ، بل اقرأْ ما كُتب عن الرومان هنا أيضاً، فبوسعك أنْ تضيفه إلى تقريرك. واقرأْ هذا، واقرأ ذاك»، عارضاً عليه كومةً من الكتب. فتصفّح الملازم الكتبَ بعصبيّة، وإذْ أثاره الأمر طَفِقَ يقرأ، ويدوّن ملاحظاته. وكان يحكّ رأسه ويهمهم: «بحقّ السماء! أيّة أمور تتعلّمها! مَنْ كان سيتوقّع هذا!».

ومرّة ذهب سينيور كريسپينو إلى الملازم أوّل لوتشتّي، وكان هذا يُطبِق كتاباً كبيراً في غيظ، [صارخاً]: «أيّة أشـيـاء طريفـة هي هذه! لقـد كـان أولئك النّاس من الجـراءة والوقـاحـة بحيث شَكّوا في نقـاءِ الْمُثُل التي ألهمت الحملات الصليبيّة! أي نعم، الحملات الصليبية نفسها!» فقال كريسپينو مبتسماً: «آه، ولكن انظرْ. إذا كان عليك أن تكتب تقريراً عن هذا الموضوع، فاسمحْ لي أن أقتـرح بضـعـةَ كـتب أخرى تقدّم لك تفـاصـيل إضـافـيّـة»، وأنزَل مِن الكتب سَعَةَ نصفِ رفٍّ كامل. انحنى الملازم أول لوتشتّي إلى الأمام [حيث الكُتب]، فَعَلِق، وكنتَ على مدى أسبوع تسمعه يقلِّب الصفحات بسـرعـة، وهـو يغـمـغِم: «بيـد أنّ هذه الحـمـلات الصليبيّة... فلأُقرّ أنّ هذا أمرٌ طريف جداً!».

*

كان عدد الكتب الخاضعة للتحقيق يزداد في تقرير اللجنة المسائي، غير أنّ أعضاءها توقّفوا عن تقديم أرقام للكتب بحسب ما نالتْهُ من أحكام إيجابيّة أوْ سلبيّة. واضطجعتْ طوابعُ الجنرال «فِدينا» المطّاطيّة دونما عـمل. ولو حـدث أنْ راجَعَ عـمـلَ مـلازم من الملازمين الأوائل سـائلاً إيّاه: «وكـيف أجَـزْتَ هذه الرواية؟ فـالجنود فـيـهـا يَظهـرون أفـضلَ حـالاً من الضـبّـاط! إنّ هـذا المؤلِّف لا يحـتـرم التـراتبـيـةَ على الإطلاق!»، لأجَابَهُ الملازمُ بالاستشهادِ بمؤلِّفين آخرين، وبالتخبُّط على غير هدى في أمور تاريخيّة وفلسفيّة واقتصـاديّة. وكـان هذا يؤدّي إلى نقاشـات مفتوحـة تستغرق ساعاتٍ وساعات. وكان سينيور كريسپينو يمشي بهدوء في خفَّيْهِ، يكاد لا يبينُ في قـمـيصـه الرمـادي، ليلتـحق بالنقاش في اللحظة الصـائبـة على الدوام، عـارضـاً على الجـمع بعضَ الكتب التي كـان يشـعر أنّهـا تحتوي معلومـاتٍ مشـوّقة عن الموضـوع المطروح للتـأمُّل. وكـان أثر هـذه المعلومـات يقـوِّض من قناعاتِ الجنرال «فدينا» على الدّوام.

في هذه الأثناء لم يكن أمـام الجنود مـا يفـعـلونه، وراحوا يشعرون بالسـأم. فسـأل الضـبّـاطَ واحدٌ منهم، واسمه بارياسّو، وهو أكثرهُمْ علماً، عن كتاب ليقرأه. فأرادوا في بادئ الأمر أن يعطوه كتاباً من الكتب القليلة التي صُرِّحَ بأنّها ملائمةٌ للجنود. ولكنّ الجنرال، حين تذكّـر آلافَ المجلّدات التي مـا تزال تنتظر الامـتـحـانَ والتحـقـيق، كَره أن تضـيع سـاعـاتُ الجنديّ بارياسّو القرائية لغير قضية الواجب [القومي]، فأعطاه كتاباً لم يُمتحنْ بَعدُ: روايةً بدت سهلةً بما فيـه الكفـاية؛ وكـان سينيور كريسپينو هو من اقترحها. وكان على باريسّو أن يكتب تقريراً للجنرال عن هذا الكتاب بعد قراءته. وقد طلب جنودٌ آخرون مـثلَ طلب باريـاسّو، ومُنِحوا المهمّة ذاتها. وقرأ الجنديُّ تومّاسون بصوت عالٍ لجنديٍّ زميلٍ لا يستطيع القراءة، وكـان هذا يدلي بآرائه إليه. وشـرع الجنودُ يشـاركـون في النقاشـات المفـتوحـة إلى جـانب الضبّاط.

*

لا يُعرف الكثير عن سيْر عملِ اللّجنة؛ فلم يكن ثمّة تقـريرٌ عمّا حدث في المكتبـة خـلال أسـابيع الشـتـاء الطويلة. كلّ مـا نعـرفـه هـو أنّ تقـارير الجنرال «فِدينا» المرسلة عبر الجهاز إلى مركز قيادة الأركان العامّة قد خفّ انتظامُها تدريجاً، إلى أن توقـفتْ نهـائيـاً. انزعج رئيسُ الأركان؛ وأرسل عبر الجهاز أمراً بإنهاء التحقيق في أسـرع وقتٍ ممكن، وبعرْضِ تقريرٍ كاملٍ ومـفـصـّلٍ عنه.

في المكتبـة، أوقع الأمر العسكريُّ عـقـول الجنرال «فدينا» ورجاله فريسةً لمشاعر متناقضـة. فمن جهـة أولى كـانوا يكتشـفـون بشكل ثابت اهتـمـامـاتٍ جديدةً ينبغي إرضاؤها، وكانوا يسـتمتعون بما يقرأونه من كتب ودراسـات أكثرَ ممّا كانوا قد تخيّلوه في أيّ يومٍ على الإطلاق... ومن جهة أخرى كانوا يتحرّقون للعودةِ إلى العالم من جديد، لاعتناق الحياة؛ وهما عالم وحياة يبدوان الآن أكثر تعقيداً بكثير، فكأنّهما تجدّدا أمام أمّهات أعينهم... ومن جهة ثالثة كان تسارُعُ دنوّ اليوم الذي سـيُضطرون فيـه إلى مـغـادرة المكتبـة يملأهم بالخشية والتوجُّس؛ فقد كان عليهم أن يقدِّموا تقريراً عن مهمّتهم، ولكنّهم – على الرغم من كلّ الأفكار التي راحت تُزبِد وتبقْبِق في عقولهم – لم يكونوا يملكون فكرةً واحـدة عن كيفـيّـة الخروج من مـأزقٍ كـان قـد أضحى ضيّقاً جداً بحقّ.

في الأمسيات كانوا ينظرون من خلل النوافذ إلى براعم الأغصان الأولى وهي تتوهّج في الغروب، وإلى الأنوار تضوّئُ في القرية، في الوقت الذي يتلو فيه أحدهم الشعرَ بصوت عالٍ. لم يكن «فِدينا» معهم: فقد أعطى أمراً بوجوبِ تركه وحيداً أمام طاولته لكي يضع مسوّدةَ التقرير النهائي. ولكن الجرس كان يرنّ بين الفينة والأخرى، ويسمعه الآخرون ينادي: «كريسپينو! كريسپينو!». فهو لم يستطع أن يصل إلى أيّ نتيجةٍ بدون معونة المكتبيّ المسنّ، وانتهى الأمر بأن جلس الاثنان إلى الطاولة نفسها ليكتبا التقرير معاً.

*

ذات صباح نَيِّر، غادرت اللجنةُ المكتبةَ أخيراً، وذهبتْ لتُبلغ تقريرها إلى رئيس الأركان. وشرح «فِدينا» نتائجَ التحقيق أمام مجلس الأركان العامّة. كان خطابه نوعاً من الخلاصة للتاريخ البشري، من بداياته الأولى إلى يومنا الحاضر، وكانت خلاصةً هوجمتْ فيها كُلُّ تلك الأفكار التي كان أصحابُ الفكر اليميني في پاندوريا يَعدُّونها غيرَ قابلةٍ للنقاش. وفي هذا الخطاب أُعلنتِ الطبقاتُ الحاكمةُ مسؤولةً عن مِحَن الأمّة، وأُعْلِيَ من شأن النّاس بوصفهم ضحايا بطوليةً للسياسات الخاطئة وللحروب غير الضرورية. كان خطابه عرضاً مضطرباً بعض الشيء، متضمِّناً - كما قد يحدث لأولئك الذين لم يعتنقوا أفكاراً جديدةً إلاّ مؤخّراً - تصريحاتٍ ساذجةً ومتناقضةً غالباً. ولكن لم يكن ثمّة شكٌّ في مغزاها العامّ.

ذُهِلَ الجنرالات، وانفغرتْ عيونُهم، ثم استعادوا أصواتهم وبدأوا بالصراخ. لم يُسمح للجنرال فدينا بمجرّد إنهاء خطابه. فقد كان ثمّة كلامٌ عن محاكمةٍ عسكريّة، وعن خفض رتبته العسكريّة.. وخشيةً من أن يؤدي الأمر إلى فضيحة أشدّ خطورةً، فقد أُحيل الجنرال والملازمون الأربعة على التقاعد بدواعٍ صحيّة، وذلك نتيجةً «لانهيار عصبيّ خطيرٍ عانوا منه أثناء الخدمة». وكانوا غالباً ما يُشاهَدون، مرتدين ثياباً مدنيّة ومعاطفَ ثقيلةً وكنزاتٍ سميكةً كيْلا يتجمّدوا من البرد، وهم يدخلون إلى المكتبة القديمة حيث ينتظرهم سينيور كريسپينو مع كتبه.

أسئلة النصّ العربيّ

إذن تَحوّلَ ضبّاطُ كالڤينو إلى مثقّفين، فنزعوا ثيابهم العسكريّة، وارتدوا ثياباً مدنيّة: «معاطفَ ثقيلةً وكنزاتٍ سميكةً كيلا يتجمّدوا من البرد» كما هو حال «العلماء الباحثين» في المقطع الخامس أعلاه. وراحوا يتردّدون على المكتبة حيث ينتظرهم المكتبيُّ المثقّف ذو الحيلة والتدبير: سينيور كريسپينو.

* ولكن هل كانت المهمّة المنوطةُ بهم جديرة أصلاً بكل هذا العناء والسهر وعذاب النّفس؟ هل الآراء «المعادية للهيبة العسكرية» (المقطع الأوّل) تشكّل خطراً حقيقياً على حكم السلطة في پاندوريا، أم أنّ الفنران (المقطع السادس) هي وحدها التي لا يُؤْمَنُ جانبُها ويُخشى أذاها؟ أم أنّ ذِكْر الفنران ومصائد الفنران - وكالڤينو لا يذكر شيئاً عبثاً - هو إرهاصٌ بالمصير الذي تعدّه السلطة للمثقفين، وللعسكر الذي ينتقلون إلى ضفّة «المثقفين»؟

* ثم أليست هناك إشارة واضحة إلى أنّ الإنسان هو في جوهره كائنٌ إنسانيٌ محبٌ للمعرفة والخير، وأنّ القمع إنّما هو نتيجةٌ للجهل والتعتيم؟ وما صحّة هذا الافتراض (الإنسانوي) الذي تنطوي عليه قصّةُ كالڤينو، ويُضمره الكاتبُ (أو السارد) المضمَر؟ هل يمكن المرءَ أن يركنَ إلى نظرية القصّة الضمنية، ومؤدّاها أنّ تَوْق المرء - أيّ مرء، حتى لو كان ضابطاً متسلّطاً - إلى المعرفة إنّما هو أقوى من شغفه بالسلطة والاستئثار... بل إنّ حبّه للمعرفة لا يقتصر على المشاعر الداخليّة وإنّما يدفعه إلى الجهر بالحقيقة في وجه السلطة وإلى التمرّد على الأوامر وإلى الاستعداد للتضحية بالنفس؟

* ومن هو سينيور كريسپينو؟ هل يصلح أن يكون مثالاً يحتذيه مثقفونا العرب، وفي هذه الفترة بالذات: فترة تفكّك المشاريع والأحزاب وانعدام الثقة بالمعارضة عامّة؟ هل يمكن أن «يندسّ» المثقفُ في أجهزة السلطة، فيوقظ توقَ المرء الكامن إلى الخير والمعرفة؟ أم أنّ في هذا التجسير بين المثقّف والسلطان ترجيساً للثقافة والمقاومة والمُثُل، وإنذاراً بحدوث العكس: وهو أن يغدو المثقّف ضابطاً أو مُخبِراً أو متسلّطاً، ويتعرّفَ الحاكمُ إلى مصطلحات «ثقافية» تبرّر القمعَ والكبتَ والاضطهاد؟

* ثمّ هل يمكن أن تجري «نقاشاتٌ مفتوحة» في صفوف العسكر العرب (كالتي جرت في صفوف عسكر پاندوريا)، فيلتحم الفكرُ بالفكر، وتتلاقح المشاعر الإنسانيّة، ويُثْلَم حَدُّ الرأي الواحد، فيتوهّج - من ثَمّ - أفقُ الثقافة وهو هو أفقُ التحرّر من الاستغلال والاستعباد والقهر؟

تلك أسئلة من عشرات الأسئلة المحتملة التي يطرحها نصٌّ كالڤينو، وهي برسم القارئ... والبصّاص!

س.س.إ